

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامِ،

جَيْنَمَا خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَ فِيمَا قَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ»<sup>1</sup>. وَبِهَذَا نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى دَاءِ عَضَالٍ قَدْ سَبَّبَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَظَالِمِ وَالذَّمَارِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ. أَلَا وَهُوَ الْعُنْصُرِيَّةُ. وَهُوَ دَلَّنَا فِي خُطْبَتِهِ هَذِهِ أَيْضًا إِلَى دَوَائِهَا وَإِلَى الْمَخْلَصِ مِنْهَا. أَلَا وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِأَنَّ النَّاسَ سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِأَمْرِ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا غَيْرَ.

إِخْوَتِي الأَعْرَاءُ،

إِنَّ حُبَّ الْجَاهِ وَالِافْتِحَارَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي جُبِلَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا. غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا النُّضْجَ الرُّوْحِيَّ وَالْعَقْلِيَّ الْكَامِلَ، يُلْجَأُونَ إِلَى إِشْبَاعِ هَذِهِ الْعَرِيْزَةِ لَدَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ نَسَبِهِمْ وَعَرَفِهِمْ، وَيَعْدُونَ مُجَرَّدَ الدَّمِ وَالنَّسَبِ سَبَبًا فِي تَقْوْفِهِمْ وَعُلُوِّهِمْ عَلَى النَّاسِ. وَيَعْتَوِدُونَ أَنَّهُمْ يَرْفَعُونَ مِنْ شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ بِإِحْتِقَارِهِمْ لِمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ. فِي حِينِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>2</sup>. فَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ بِلَوْنٍ وَلَا عِرْقٍ وَلَا لِسَانٍ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامِ،

العُنْصُرِيَّةُ هِيَ العُدُوُّ المُشْتَرِكُ لِجَمِيعِ الْبَشَرِيَّةِ. أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَا يَتَحَمَّلُونَ إِخْتِلَافَاتِ النَّاسِ فِي اللُّوْنِ وَالْعِرْقِ وَالِدِّيَانَةِ وَالْأَفْكَارِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْتِرَامَ ذَلِكَ، أَوْلَيْكَ هُمْ أَعْدَاءُ الْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا. وَلَقَدْ شَهِدْنَا عَوَاقِبَ هَذَا المَرَضِ قَبْلَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ فِي أَمَانِيَا، فِي مَدِينَةِ هَانَاوِ، حِينَمَا قُتِلَ شَبَابٌ مِنْ أَصُولٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَا لِسَبَبٍ إِلَّا لِأَنَّهُمْ مُخْتَلِفِينَ. كَمَا رَأَيْنَا بِشَاعَةَ هَذَا المَرَضِ فِي نِيُو زِيلَانْدَا سَنَةَ 2019 (أَلْفَيْنِ وَتِسْعَةَ عَشَرَ) حِينَمَا هَاجَمَ ذَلِكَ العُنْصُرِيُّ المَسْجِدَ فَقَتَلَ 51 (وَاحِدًا وَخَمْسِينَ) إِنْسَانًا بَرِيئًا.

وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا المَرَضِ أَيْضًا؛ مُهَاجِمَةُ رُمُوزِ وَمُقَدَّسَاتِ الدِّيَانَاتِ المُخْتَلِفَةِ، مِثْلَ مُحَاوَلَاتِ إِحْرَاقِ المُنْصَحَفِ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الإِعْتِدَاءَاتِ المُنْبُوذَةِ، الَّتِي تَسْتَهْدِفُ تَقَافَةَ التَّعَائِشِ وَالْأَمْنَ الإِجْتِمَاعِيَّ، لَنْ تَصِلَ إِلَى أَهْدَافِهَا أَلْبَتَّةَ.

إِخْوَتِي الكِرَامِ،

لَقَدْ لَعَنَ الإِسْلَامُ العُنْصُرِيَّةَ بِكُلِّ أَلْوَانِهَا. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»<sup>3</sup>. إِذَا تُعْتَبِرُ مُكَافَحَةَ هَذَا المَرَضِ مِنَ الوَاجِبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. حَفِظْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَمِيعَ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ المَظَالِمِ.

